



الجزء ٥ ايار سنة ١٩٢١ م الموافق ١٩ شعبان سنة ١٣٣٩ هـ المجلد ١

اللغة والدخيل فيها

اللغة هي أصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم كما قال ابن جني في الخصائص وتبعه كثيرون منهم صاحب القاموس . واما علماء الاصول فقالوا هي الالفاظ الدالة على المعاني. واما علم اللغة فهو علم يبحث فيه عن مفردات الالفاظ الموضوعه من حيث دلالتها على معانيها بالمطابقة اذ الدلالة التضمنية والالتزامية عقليتان لا لغويتان كما ذكره المناطقة .

واختلف هل هي توقيفية لا تعلم الا بطريق الوحي فيكون الواضع لها هو الله تعالى أو غير توقيفية فالواضع لها البشر او بعضها كذا وبعضها كذا قال بكل من هذه الاقوال جماعة . ولهذا الخلاف فائدة اصولية نحوية فان قلنا بوضع البشر جاز قلب اللغات بان يجعل اللفظ الموضوع لمعنى الى غيره والا فلا .

هذا ولم تضبط لغة من اللغات ضبط اللغة العربية ولا تقنن أهل لغة في أساليب تأليفها كأهلها وذلك لكثرة تصاريفها وصيغها وكل حرف زيد في كلمة منها أدى معنى غير ما كان قبله هذا الى مترادفها ومشتقكها واضدادها ومن عجائبها التصرف في تسمية الشيء الواحد باسماء مختلفة لاختلاف الاحوال كتسمية الطفل من بني آدم ولداً ومن الحيل فلواً ومهراً ومن الابل فصيلاً ومن البقر عجلاً ومن الغنم سخلة وعناقاً ومن الغزال خشفاً ومن السبع شبلاً .

و كطعنه بالرمح وضربه بالسيف ورماه بالسهم وو كزه باليد ونحوها ومن غرائبها أيضاً مخالفة الألفاظ للمعاني كقولهم فلان يتعنت أي يفعل فعلاً يخرج به من الخنت وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى إليه كان يتعنت أي يتعبد وكذلك يتخرج إذا فعل فعلاً يخرج به من الحرج وفلان ينجد أي يخرج من الهجود وهو النوم بقيام الليل وهذا هو الذي ساء أهل اللغة بفقه اللغة وصنفوا فيه المصنفات .

ومن أغرب ما فيها تباین معاني الألفاظ بتغيير بعض حركاتها كالمثلثات أو بتبديل حرف بآخر قريب منه كالظهر والظهر ونحوهما من الألفاظ التي تتعاور عليها الظاء المشالة والضاد المنظومة في قول بعضهم :

يدعى نقيض البطن باسم الظهر	وصخرة في جبل بالظهر
والقيظ في الصيف بمعنى حره	والقيض في البيض لبادي قشوره
والفيظ والفيض وقل فاظ اذا	مات وهذا الماء قد فاض كذا
ظن وذن باخل والحنظل	لذبت والظل المديد حنظل
والظب للهادر ثم الضب	والظرب نبت عندهم والضرب
والمرط الجوع الشديد والمرض	وقرظ الصبغ وذو المال قرظ
والابرق الظير والضرير	وهكذا النظير والنضير
وظفة وفضة وظجه	لقوية واسعة وظجه
والآلي في السموط نظم	وقيل للبر الحبيب نظم
وخاض زيد ظلمة حين ظفر	وضامة للسهد والحوض ظفر
والظعف للنتب وضعف العظم	ومقبض القوس دعي بالعظم
والبيظ بيض النمل والحظيرة	لأشياء والناس لهم حظيرة
كذا الوظيف ووضيف الوقف	ظل وضل عن سبيل العرف
وعظة الحرب وعضة الاسد	والماظ والحض وحسي ماورد

أو بحذف نقطة أو تغيير حركة من اللفظ كالذفر بالذال وتحريك الفاء وهو كل ربح قوية من طيب أو نتن يقال مسك اذفر ويقال للصنان ذفر ورجل اذفر وأما الذفر بالذال المهمة واسكان الفاء فالنتن خاصة ومن ذلك سميت الدنيا أم

دفر ويقال الامة اذا سبت يادفار أو بزيادة حرف نحو ملحت القدر اذا وضعت فيها ملحاً بقدر الحاجة واملحتها وملحتها بتشديد اللام اذا أكثرت ملحها الى غير ذلك من التصريفات .

ثم مما مهد لها مجال الاتساع التجوز عن المعنى الاصلي الى غيره لعلاقة بينها تكفل ببيانها علم البيان بالمجاز المرسل او الاستعارة باقسامها او الكناية ثم مجيء الشريعة الاسلامية الغراء باوضاع دينية استعملت لها ألفاظاً لها في لها علاقة بالمعنى الاصلي حتى صارت حقيقة عرفية فيها عند اهلها كالصوم والصلاة والزكاة والحج وغيرها وقل كذلك في العلوم التي دونت لاجلها كالنحو والصرف والاصول فان مصطلحاتها صارت من الحقيقة العرفية الخاصة .

ثم اتسع الحال باتساع الفتوحات واختلاط العرب بغيرهم من الفرس والروم والقبط والنبط شأن كل أمة ترفقت في معيشتها وسياستها فانها تكثر حاجياتها وتجلب اليها ماليس عندها فراوا عندهم أشياء لم تكن عند العرب لها اسماء اعجمية فأخذوها وصقلوها بالسنتهم على ما تقتضي لغتهم التي لا تقبل التنافر والمعاذلة اللفظية فبدلوا بعض حروفها أو زادوها أو نقصوا منها لتكون سهلة التلفظ رانقة في السمع وهذا هو التعريب ويقال للفظه معربة فالمعرب هو ما استعملته العرب من الالفاظ الموضوعه لمعان في غير لغتها قال في الصحاح تعريب الامم الاعجمي ان تتفوه به العرب على مناجها نقول عربته العرب واعربته اه وسماه سيبويه اعراباً وهو امام العربية فيقال معرب ومعرّب وقول الصحاح ان تتفوه به العرب يدل صريحاً على ان التعريب حق العرب ولذا قال الجرجاني الم ان العرب تكلمت بشيء من الاعجمي والصحيح منه ما وقع في القرآن والحديث والشعر القديم او كلام من يوثق بعربيته وعليه فما عربته المتأخرون بعد مولداً والذي عليه أكثر علماء اللغة انه مقيس في الاعلام وما يجري مجراها اي ان اعلام الاشياء يعربها من اراد وهذا الذي يقبله العقل فان اختلاف الاقليم واختلاط اهله بغيرهم بما لا يعين على اتفاق اللغة وضعاً واستعمالاً وانظر الى اسماء نبات مثلاً نجد للنوع الواحد منه في كل بلد اسماً غير الآخر بل ان قبائل العرب لا تتفق على اسماء كثير من الاشياء كما هو معلوم لدى من مارس كلامهم حتى قال ابو عمرو بن العلاء ما لسان حمير واقاصي اليمن لساننا ولا عربيتهم عربيتهنا اه وحتى قال بعضهم ان ما أخذ من اللغة الحميرية من الكلمات

يجري مجرى المعرب فلا يشتق شيء منه من لغة مضر وهؤلاء اهل اليمن يسمون العين الججمة والسن الميدن والاذن الصنارة والاصابع الشناير ووقع في القرآن الكويم الفاظ من غير لغة قريش فاستهجنوها كقسورة اسم للاسد وكتبار بمعنى كبير وعجاب بمعنى عجب وامثالها وروى القالي في الامالي ان رجلا قال لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه ابضحى بضحي فقال له وما عليك لو قلت ابضحى بضحي فقال انها لغة فقال عمر انقطع العتاب لا يضحى بشيء من الوحش ا هـ

وبما يدل على ان المخالطة واختلاف الاقليم يغيران اللغة ان ابن حزم قال في كتاب الاحكام لاصول الاحكام ان الذي وقفنا عليه وعلناه يقيناً ان السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مضر لا لغة حيراة واحدة تبدلت بتبدل مساكن اهلها ا هـ وهذه اللغات الثلاث هي المسماة بالسامية نسبة الى سام بن نوح عليه السلام وسبب هذه النسبة كون اكثر المتكلمين بها من نسله وقد نشأت هذه اللغات من أصل واحد وهي اللغة الارامية نسبة الى آرام احد ابناء سام وقال الفارابي في كتابه المسمى بالالفاظ والحروف كما نقله عنه في المزهرة ان اللسان العربي الفصح لم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن اطراف بلاده المجاورة لاسائر الامم الذين حولهم فانه لم يؤخذ من لحم وجدام لجاورتهم اهل مصر والقطب ولا من قضاة وغسان وايدلججاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون بغير العربية الى ان قال ولا من ثقيف واهل الطائف لمخالطتهم اهل اليمن المقيمين عندهم اي واهل اليمن مخالطون للهند والحبشة ولا من حاضرة الحجاز لان الذين نقلوا اللغة صادفهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الامم وفسدت سنتهم والذي نقل اللغة واللسان العربي عن الذين تقدم ذكرهم واثبتا في كتاب فصيرها علماء اهل البصرة والكوفة فقط من بين امصار العرب ا هـ مع ان عمرو رضي الله عنه قال قبل ذلك الاختلاط لا يُمكن مصاحفنا الا غلمان قريش وثقيف وقال عثمان رضي الله عنه اجعلوا المعلي من هذيل والكاتب من ثقيف فلم يمض قرن او نحوهما حتى ضاعت الثقة بن كان ثقة فكيف بنا الآن وقد صرنا الى عصر صارت اللغة فيه فوضى كالاخلاق تشوهت فيه وجوه ابنتها فضلاً عن حركات اعرابها وقد كانت الاغلاط قبلاً معدودة الف فيها الجواليقي كتابه

المسمى اصلاح ما تغلط فيه العامة والحريري درة الفواص في اوهام الخواص على ان اكثرها لم يسلم له ادعاء غلطها ولم يزل يوجد في كل عصر من ينه على بعض غلطات اهله اما الآن فقد طفق الكيل وطما السيل حتى صار الفصيح الصحيح هو الذي بعد فتر كنا ذلك هملاً واقمنا ضجة حول اسماء الاشياء الحديثة التي ليست بعربية لنضع لها اسماء عربية اي لتترجم ذلك الاسم الى لغتنا العربية بلفظ عربي وليس هذا من التعريب في شيء بل هو ترجمة او وضع جديد مع اننا لو رجعنا الى كتب اللغة المتعة خصوصاً القديم منها لوجدنا فيها ما تسمى به الاشياء الحديثة اما حقيقة واما مجازاً وسأضرب لك مثلاً ربما تستغربه وهو ان لفظ البليت وهو ورقة الاذن بركوب القطار الحديدي او السفن او دخول المجتمعات المختصة لاناس مثلاً قد وجدناه في لغة العرب بلفظه و كقديس بمعنى الفصيح اللبيب كأنه ييلت الناس بفصاحته اي يقطعهم فعلى ما أرى ان استعماله في معناه الآن تساعد عليه اللغة لانه يقطع من يعارض حامله .

وانعد الى ذكر التعريب باطالة فنقول : اعلم ان المعرب يعبر عنه بالدخيل والدخيل يدخل فيه ايضاً المولد والمصنوع اما المولد فهو ما احده المولدون الذين لا يحتج بالفاظهم هكذا عرفوه ومعناه ان يحدثوا الفاظاً كانت العرب تستعملها وعندي ان الالفاظ المولدة ان كانت مبتكرة من المولدين كلفظ ملتن المستعمل في مصر للريح الشديد التي تأتي في وجه البحر الملح فيقف ماؤه في وجه النيل فيتوقف حتى يروي البلاد كما فسرها السيوطي او بتعريف كلفظ ست بدل السيدة فهذا لا كلام في تسميته مولداً واما ان كان اللفظ عربي الاصل واستعمل في غير ما وضع له لعلاقة فلا ارى ان يسمى مولداً وذلك كلفظ منصب بمعنى ما يتولاه الرجل من العمل (الوظيفة) كأنه محل لنصبه ويطلقونه ايضاً على اثنائي القدر من الحديد لانه محل نصبها فمثل هذا لفظ تجوز به وليس المجاز بمنوع لانه وقع في القرآن الكريم واما المصنوع فهو ما يورده صاحبه اختلاقاً على انه عربي فصيح وليس به كما اتهموا حماد الراوية وغيره انهم وضعوا ابياتاً شعرية زعموها من كلام العرب ليحتجوا بها على كلامهم واما المعرب فقد عرفت معناه وهو ضربان كما في التاج الاول اسماء الاجناس كالفرنند والابريسم واللجام والآجر والقسطاس والاستبرق والثاني ما كان في غير

العربية علماء فأجروه على علميته كما كان لكنهم غيروا لفظه وقربوه من الفاظهم وربما الحقوه بابنيتهم وربما لم يلحقوه ويشاركه الا ضرب الاول في ذلك لا في العلمية والثاني هو المعتد بعجمته في منع الصرف بخلاف الاول وذلك كإبراهيم واسماعيل ويعقوب واسحاق وجميع الانبياء الا ما كان اسمه عربياً كصالح ومحمد صلى الله عليها وغير الانبياء كمرستم وهرمز واسماء البلدان التي هي غير عربية كسمرقند واصطخر وخراسان ونحوها فما كان من الضرب الاول فاشرف احواله ان يجري عليه حكم العربي فلا يتجاوز به حكمه لكن ما تصرفوا به منه كألم يلجم الجأماً ولجم لا يقال له اشتقاق بل اخذ لان العجمي لا يشتق من العربي ولا العكس والاشتقاق نتاج وتوليد ومحال ان تلد المرأة الا انساناً ا هـ وبالغ بعضهم فقال ان الاسماء العجمية لا توزن بالاوزان العربية لتوقف الوزن على معرفة الاصل والزائد ويعرف ذلك لا يتحقق فيها .

ثم ان المعرب يُعرف بعلامات منها ان ينقل كونه معرباً عن ائمة اللغة ومنها ان يكون اللفظ خارجاً عن الاوزان العربية كإبريسم اذ لا يوجد في اللغة العربية أفعال ومنها ان يكون مبدوءاً بنون كترجس او يكون فيه دال بعدها زاي كمنهدز ومنها خلوه وهو رباعي او خماسي من حروف الذلاقة التي يجمعها قولك مر بنقل وقد يكون معرباً وفيه منها نحو يوسف وان كان رباعياً وخالها منها وفيه سين فقد يكون عربياً نحو عسجد ومنها ان يجتمع فيه الجيم والراء بدون الحروف المذكورة كأجر او القاف والطاء كقطاس وقرطاس ومنها ان يجتمع فيه من الحروف ما لا يجتمع في كلام العرب كالجيم والقاف بلا فاصل نحو قج وجق والصاد والجيم نحو صولحان والكاف والجيم نحو سكرجة .

اما الذي له حق في التعريب فقد تقدم ان بعضهم خص ذلك بالعرب الموثوق بعربيتهم ونص على ذلك الثعالبي والجواليقي واليه يوهى كلام سيديويه في الكتاب وزعم الشهاب الحفاجي انه سماعي فما عربه المتأخرون يعد مولداً وكثيراً ما يقع مثله في كتب الحكمة والطب وصاحب القاموس يتبعهم من غير تنبيه على هذا وقال ولعل سماعيته مخصوصة بغير الاعلام اذ كل ينادي بعلمه من غير تكبير ا هـ ولقد صدق في نسبة صاحب القاموس الى التساهل فمن اعجب ما تساهل به قوله

الشبكرة العشا اي عدم الابصار لئلا مأخوذ من قولهم شب كور فشب بمعنى الليل وكور الاعى فهذه اللفظة كما تراها لا رائحة للعربية فيها ولا للتعريب .
ومن التحكم الذي لا مستند له قول صاحب أقرب الموارد ان الضرورة تقضي باستعمال المعرب عند خلو اللغة عن لفظ يؤدي مؤداه فما كان من هذا القبيل فلا بأس به وأما ما أدخله مجرد المخالطة ودسه الجهل في هذه اللغة الشريفة من المعربات قديماً وحديثاً بما له في لغتنا مرادفات فلا بد من رفضه اه فان كان قصده بالقديم ما كان على زمان العرب فهذا لا نوافقه عليه لان العرب عربت الاقليد والمقاليد مع وجود المفتاح والمفاتيح واتبعهم من بعدهم فاستعملوا القفشليل مع وجود المعرفة غير أنهم ذكروا ان استعمال المعرفة أولى من استعمال مرادفتها المعربة واتفقوا على ان استعمال الاقليد والمفتاح سواء ثم قوله هذا لا يستقيم أيضاً في الاعلام فان كل الاعلام المعربة يوجد في العربية ما يؤدي معناها كيوحنا وبجسي وأب رحيم بدل ابراهيم وهكذا فعلى قوله يقتضي أن ترفض هذه المعربات لوجود ما يؤدي مؤداه في العربية وليس الحال كذلك .

أما كيفية التعريب فقد قال سيبويه في الكتاب اعلم انهم (أي العرب) يغيرون من الحروف الالهجية ما ليس من حروفهم البتة فربما أحقوه ببناء كلامهم وربما لم يلحقوه فاما ما أحقوه ببناء كلامهم فدرهم أحقوه بهجرع (الاحق) وهورج (زيف) أحقوه بسلب (الطويل من الحبل) ودينار وديباج ، أحقوه بديماس (الحتام) وقالوا اسحاق فأحقوه باعصار (ربيع ترتفع بتراب وتستدير كأنها عمود) ويعقوب فأحقوه بربوع (نوع من الفار) وجورب فأحقوه بكوكب الى أن قال وربما تركوا الاسم على حاله أي من غير تغيير في حروفه اذا كانت حروفه من حروفهم كان على بنائهم أو لم يكن نحو خراسان ومخرم والكرم وربما غيروا الحرف الذي ليس من حروفهم ولم يغيروه عن بنائه في الفارسية نحو فرند وبقم وأجر وجريز اه .

ومن هذا يعلم خطأ جماعة منهم الحريري زعموا أن المعرب لا بد من الحاقه بأبنية كلام العرب ولحن الحريري من يقول الشطرنج بفتح الشين للعبة المشهورة وقال قياس كلام العرب أن تكسر لان مندهم انه اذا أعرب الاسم الاعجمي أن يرد الى ما يستعمل من نظائره في لغتهم وزناً وصيغة وليس في كلامهم فعئل

بفتح الفاء وإنما المنقول عنهم في هذا الوزن فعلى بكسرها فهذا وجب كسر الشين من الشطرنج أيلحق بوزن جر دحل وهو الضخم من الأبل اه فع كونه ما أنكره من فتح الشين ثابتاً عن أئمة اللغة تراه خالف امام العربية فيما ذهب إليه من عدم لزوم التغيير وقد ورد كثير من الألفاظ العجمية المعربة على غير أوزان العرب كما تقدم وورد كثير منها معرباً بغير تغيير مثل سور الطعام الذي يدعى إليه الناس قال في القاموس السور الضيافة فارسية شرفها النبي ﷺ وزاد بتشريفها إرادته لها في كلامه حين قال في غزوة الخندق قوموا فقد صنع لكم جابر سوراً ومنه التوروز والياسمين والكشك والكاغد .

والصحيح الذي يجب المصير إليه والتعويل عليه انه ان كان في اللفظ الذي يراد تعريبه حرف ليس من الحروف العربية وجب ابداله بأقرب الحروف إليه منها وذلك كالألواح والجم والكاف الفارسيات وربما أبدلوا حرفاً عربياً منه بأخف منه لفظاً كسكّر فان أصله شكر وسراويل فان أصلها سراويل حرصاً على سهولة التلفظ فان تركيب الحروف له دخل في سهولة التلفظ باعتبار مخارجها وإيضاحاً لذلك ننقل بعض ما ورد عن أئمة اللغة في هذا الشأن . قال ابن سيده في المحكم ليس في كلام العرب شين بعد لام في كلمة عربية محضة الشينات كلها في كلام العرب قبل اللام اه وكذلك يندر اجتماع الراء مع اللام إلا في ألفاظ محصورة منها الجول بفتحتين وهو الحجارة وكذلك الجول ولذا قيل ان القيرلي معرب وهو طائر يضرب به المثل في الحزم وقال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين ان الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا العين بتقديم ولا تأخير والخلاصة ان الحرفين قد يجتمعان في الكلمة مطلقاً وقد لا يجتمعان فيها مطلقاً وقد يجتمعان فيها في حال دون حال أما الحرفان اللذان يجتمعان فيها مطلقاً فمثل الحاء والباء تقول حب وبع وحب وما نشأ عنها بطريق القلب وهي حبر ورحب وريح وبحر وروح ومثل ذلك الحاء والراء وما أشبهها أي في تباعد المخرج وأما الحرفان اللذان لا يجتمعان فيها مطلقاً فمثل الحاء والماء ومثل الشاء والضاد وذلك لانحاد المخرج أو قربها وأما الحرفان اللذان يجتمعان في حال دون حال فمثل الشين واللام فانها يجتمعان اذا كانت الشين مقدمة مثل شغل ولا يجتمعان اذا كانت اللام مقدمة ومثل العين والماء فانها يجتمعان اذا كانت العين مقدمة مثل عهد وعين وعته ولا

يجتمعان اذا كانت الهاء مقدمة الا اذا فصل بينهما فاصل مثل هرع وهلع ومثل الهاء والحاء فانها يجتمعان اذا كانت الهاء مقدمة وكان بينهما وبين الحاء فاصل مثل الهبيخة وهي الجارية الممتلئة والغلام هبيخ ولا يجتمعان اذا تقدمت الحاء قال ابن حني في الحوائص بعد أن بين ان اكثر التراكيب الذي تحتمله القسمة أهمل وترك للاستئصال فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه نحو صص وحص وطم وطم وضم وضم وضم لنفور الحس عنه والمشقة على النفس لتكلفه وكذلك قبح وجق وكت وكت وكج وكت وكج وكت وكذلك حروف الحلق هي من الائتلاف أبعد لتقارب مخارجها من معظم الحروف أعني حروف الفم وان جمع بين اثنين منها يقدم الاقوى على الاضعف نحو أهل واحد وأخ وعهد وكذلك متى تقارب الحرفان (أي في المخرج) لم يجمع بينهما الا بتقديم الاقوى منها نحو وتد ووطد اه .

وهذا البحث كاد أن يكون خارجاً عما نحن فيه لكنه لا يخلو من فائدة فان الالفاظ العجمية وان كانت خالية عن بعض حروف الحلق إلا أن حروفها ربما تقاربت فيعسر او يتقل النطق بها فيكون تبديل بعضها من واجبات التعريب كما قدمنا فعلم ان الالفاظ التي يراد تعريبها ان قلنا بجواز تعريب غير الاعلام لغير العرب يجب النظر في حروفها ليبدل منها ما ليس بعربي بالاقرب اليه اما وضع اهم عربي بحت بدل الاسماء العجمية فان كان له أصل في اللغة فاستعماله يكون رجوعاً للأصل ونبدأ للدخيل وان لم يكن له أصل في اللغة وأتى بلفظ عربي يؤدي معنى مسماه فهو ترجمة وليس من التعريب في شيء كما قدمنا .

هذا ما أراه أعرضه على علماء اللغة فان كان صواباً أرجو تأييده والمشني عليه وان خطأ فعليهم ان يبهوني ويرشدوني للصواب وأنا لهم شاكر فقد قيل رحم الله من أهدى الي عيوني وقد جعلنا هذا وسيلة لاستهداء أفكار نقاد العربية بما يرونه لازماً لاصلاح غلطات الكتاب أو تعريب ما يلزم تعريبه أو ترجمته من الالفاظ الحديثة التي لا غنى عنها في التخاطب .

سعيد الكرمي